المزاح واختلاف مقاييسه

الصور المزلية

المزاح خلة عامة بجميع طوائف الناس وان اختلفت درجاتهم فيها فعندك المكثر والمقل والمتطرف والمعتدل شأنهم في سائر المزايا والطباع . والملحة او النكتة او الفكاهة قد تكون عامة بمعنى ان كل امة تفهمها وتتذوقها وقد تكون خاصة بفهمها فريق دون فريق . فبينما ترى زيداً يضحك حتى يسيل لعابهُ او يستلقي على ظهرهِ لنكتة تطرق أذنيهِ ترى عمراً جامداً بازائها لا يبدي ولا يعيد كأنها ليست من النكات في شيء

وقد اشتهر الفرنسويون والارلنديون في اوربا بميلهم الى الهزل واحكامهم اياهُ حتى ليعترف الانكليزي لاخيهِ الارلندي بالنكتة ويضحك لها ولو كانت عليهِ ولا ينكر اتيام الارلندي اياهُ بالبلادة وتوليتهِ وجههُ شطر الجانب المظلم من هذه الحياة الدنيا دون الجانب المنير كما يقولون . على ان الانكليزي نفسهُ على جمودهِ اذا خرج من الجدّ الى الهزل استملك مزاحاً يضحك الثكالى والذين يعرفونهُ حق معرفة و يقرأون كتبهُ وصحفهُ المزلية يشهدون لهُ بذلك . وقد اشتهر المصري في الشرق بميلهِ الى المزاح واجادتهِ فيهِ واتقانهِ لهُ وسرعة بداهتهِ حتى ضرب بهِ المثل

وما يقال عن الملح الكلامية يقال عن الصور المزلية . ولكن كثرة استرسال المرء في الجون قد يفقدهُ قوة التمييز بين جيّد النكات ورديئها سمينها وهزيلها حتى لقد نقل عن بعض اهل الجون قولهم انهم لا يعرفون هل نكتتهم نكتة حقيقية ام لا حتى يروا اثرها في سامعيهم . وعلى ذلك قال شكسبير « ان نجاح النكتة يتوقف على اذن الذي يسمعها » . وقال احد المصورين المزليين مرة بلغ من امري واختلافي انا واصحابي على الصور المزلية التي كنت اصورها اني كنت اقهقه حيث لا يتبسمون وكانوا يقهقهون حيث لا أتبسم

خطر لاحدى المجلات الانكليزية الكبرى منذ بضع سنوات ان تستفتي الصحف الاوربية المزلية في افكه الصور التي نشرت في صحفهم فاجابتها كلٌّ منها بما عنّ لها . مثال ذلك ان مدير جريدة بنش المزلية المشهورة اختار صورتين اولاهما صورة خاصة اي ان معناها غير واضح لكل احد وكذلك معنى ما كتب تحتها فلا بدّ من تفسيرهِ ولعل لا تجد فيهِ مزاحاً بعد التفسير وان يكن غلادستون على بعدهِ عن المزح قد ضحك لهذه الصورة مقهقهاً

على مناقيل . وثانيتهما صورة عامة يفهمها كل احد وهي تمثل رجلاً يصيد السمك بصنارته وقد اطلَّ عليهِ من خلف جدار بيمارستان مجنونٌ منفرش الشعر يشير باحدى اصابعهِ ان ينضمَّ اليهِ وتحت الصورة هذه الكتابة :

المجنون — ماذا انت صانع هنا

الصياد — اصيد

المجنون — هل امسكت شيئاً

الصياد — لا

المجنون — كم مضى عليك من الوقت هنا

الصياد — ست ساعات

المجنون — تفضَّل اذاً لعندنا (مشيراً بسبَّابتهِ)

ومما هو جدير بالذكر ان كل صور بنتش هزلية في الظاهر سياسية في الباطن اي انها تشير الى مسائل سياسية خفية يدركها المرادون منها وهذا شأن الصحف الهزلية الاخرى في الاكثر . فان لم يكن غرضها سياسيًّا فهو اجتماعي

ومن الصحف الانكليزية الهزلية جريدة « جودي » اجاب مديرها عن الاستفتاء المذكور آنفاً بارسال الصورة التي يحسبها انكه ما نشر في جريدتهِ وهي تمثل فاعلاً ارلنديًّا استؤجر لتخريب بيت وقد وقف على رأس حائط متداعٍ الى السقوط وجعل يُعمل معولهُ فيهِ فبات على شفا التدهور وكأنهُ لا يدري . واذا بصوت من تحت يناديهِ « الى الطعام » فاجاب بلهجتهِ الارلندية المشهورة « سأكون عندكم في تكتين » (التكة صوت الساعة او ضربة المعول) وفي هذا تورية ظاهرة وان لم يقصدها . فانهُ يريد انهُ سينزل اليهم حالاً بطريق الفعلة وهو المعنى القريب ولكن حرج موقفهِ واشرافهُ على الخطر يشيران الى المعنى البعيد وهو نزولهُ اليهم ساقطاً من اعلى الجدار لا بطريق الفعلة المطروق

واجاب مدير الجريدة الفرنسوية المسماة « لاڤي پاريزيان » بارسال الصورة التي يفضلها على غيرها فقال صاحب المجلة الانكليزية في وصفها انها ليست في حاجة الى ترجمان يترجم معناها . وهي تمثل اله الحب عند الرومان بصورة غلام عارٍ ذي جناحين اعمى مسلَّح بقوس وجعبة ملئت سهاماً وقد خرج للسياحة فاستقبلهُ ترجمان وقال لهُ وهو رافع قبعتهُ « هل انت في حاجة الى من يترجم لك » فاجابهُ الاله « كلاَّ فان الناس يفهمونني حيثما اتوجه » . وفي هذا اشارة لطيفة الى كون الحب ملكاً مشاعاً ليس خاصًّا بقوم دون قوم

واجاب مدير الجريدة الفرنسوية « لزير » الشهيرة بارسال الصورة التي يعدّها انكه ما نشر في جريدته فقال صاحب المجلة الانكليزية بصفها :

« كثيراً ما تنشر جريدة « لزير » صوراً هزلية قد لا يدرك الانكليزي مغزاها فلا تضحكه كما هو المراد منها . ولكن الصورة التي ارسلت الينا مفعمة بالمزاح الخفيف المفهوم فهي تمثل شيخاً بدينا ماهراً في السباحة وحوله نفر من اصحابه يريدان يبهرهم بمهارته ولو كان الماء قليلاً قريب الغور »

اما الصورة فذات ثلاثة اشكال : ففي الشكل الاول ترى صاحبنا وقد وقف على ضفة بركة صغيرة قليلة الماء يتحفز للوثوب اليه ووقف اصحابه بازائه من رجال ونساء واولاد يشاهدون عجائبه وقد كتب تحت الشكل الاول قول ولد صغير له : انت يا سيدي اكبر من البركة فكيف تغوص فيها »

والشكل الثاني يمثله وقد القى نفسه فيها فطار رشاش الماء منها وبلّل ملابس اصحابه المحيطين به واعمى ابصارهم . وتحت الشكل قول السابح : ألا ترون كيف دخلتها »

والشكل الثالث يمثله جالساً في قعر البركة مادًّا رجليه واحد الواقفين يقول له جواباً على سؤاله في الشكل الثاني : لم تدخل البركة ولكن البركة خرجت يا مغفّل »

ومن اعظم الصحف الهزلية في اوربا على ما تقول المجلة الانكليزية صحيفة المانية تصدر في مونخ . هذه ارسلت الى المجلة الانكليزية صورتها الهزلية الاولى في عرفها وهي صورة ذات سبعة اشكال تمثل اسداً من « الندرمة » في قصعة . ففي الشكل الاول ترى ملك الوحوش واقفاً بابهته وجلاله ينظر الى ما امامه بعينين وقّادتين . وفي الثاني تراه وقد انغمس صدره وهبط بطنه لانخساف ظهره . وفي الثالث تراه مقعياً وقد ذاب الجزء الخلفي منه وجحظت عيناه ولاحت عليه علامات المستضعف المستغيث وهو الذي اذا الم فلا مغيث . وفي الرابع ذابت رجلاه وانفصل بدنه عن يديه فسقطا وهما لا تزالان والنتين كانهما تحرسانه من غيّر الذوبان وطوارق الحدثان . وفي الخامس سقطت يداه اللتان حارستين له وزاد هو هبوطاً في القصعة وغوصاً في الماء ولكن انفه ما زال في السماء . وفي السادس تراه منفكك الاعضاء وهي ركام بعضها على بعض وانفه مستقرّ فوقها وشعر شاربيه مستشزر الى العلى . وفي السابع تراه وقد ذاب كله وبات سائلاً يتدفق من جوانب الاناء

ومن المضحك ما ذهبت اليه المجلة جريدة اسمها « استج بلاتو » ارسلت عدة صور احسنها ثلاث فالاولى تمثل مصارعين تناضل فيما اثنان فغلب احدهما الآخر فحمل المغلوب لذلك ورام استعادة شهرته السابقة فاستلّ فيلاً بخرطومه ثم قذف به الى الهواء فبات الفيل ورجلاه الى فوق وخرطومه الى تحت وهو ثابت في الهواء مستقرٌّ على خرطومه وخرطومهُ في يد المصارع الجبار قالت المجلة الانكليزية في التعليق على ذلك « ولا تدري ايهما ادعى الى العجب الرجل الذي رفع الفيل بخرطومه وثبتهُ في الهواء ام الفيل الذي بلغ من لطفه وأدبه ان مكّن المصارع من خرطومه لمثل هذه الحركة الغريبة »

والثانية تمثل شارلوك هومز البوليس الانكليزي السري في مظهر من ادعى المظاهر الى الضحك كما قالت المجلة الانكليزية . فانك تراهُ متكئاً شاخصاً بعينيه الى الافق يعتصر قريحتهُ ويستكدّ فكرهُ املاً في الاهتداء الى الجاني من آثار الجريمة التي امامهُ وهي برنيطة وحذاء ويد مبتورة . اما هو فقد صُوِّر يساقين دقيقتين تنتهيان الى حذاءين ضخمين ووجه طويل وعينين جاحظتين يتدلى من « جيبه » متر كالامتار التي يستعملها النجارون

والثالثة صورة عضو من اعضاء مجلس الشيوخ الالماني جلس حول مائدة الطعام هو وامرأتهُ وطفلان لهُ وقد لبس ملابس النوم وامسك بيديه جريدة الاخبار البرلمانية يقرأها ويفند آراء الاعضاء زملائه لعائلته وامرأتهُ تشرب الشاي وطفلاهُ يلعبان بالملاعق وكلبهُ نائم الى جانبه

ومن الطف الصور واعظمها مغزى صورة ارسلتها جريدة « بك » الاميركية وهي تمثل صياداً واقفاً هو وصديق لهُ في غرفة صيده وهو يشير بيده الى صور معلقة في الغرفة وهي صور الحيوانات التي صادها في زمانه وتحت الصورة هذه العبارة « نعم اني اصطدتها كلها بيدقيتي » اما هذه الحيوانات فكلها رجال كتب تحت احدهم « ظبي غزالاً » وتحت آخر « ظبي تيساً » وتحت غيره « ظبي ثوراً بريًّا » وتحت اثنين في صورة واحدة « قتلا بطلقة واحدة — سنة كذا وكذا » وليس بين هؤلاء الرجال الذين حُرِّم صيدهم الا حيوان واحد حلّ صيده وهو غزال كتب تحتهُ « قتل خطأً » !! . ولا ريب ان مغزى الصورة كبير فان الجريدة ارادت ان تبين للناس ما بات عليه الصيد في اميركا من الفوضى لعدم العناية بسنّ القوانين اللازمة لهُ فصوّرت هذه الصورة فكانت وهي الصامتة افصح من كل بيان واذلق من كل لسان